سنة من الإعانة وإعادة الاعمار

ساهمت المساعدات الأمريكية البالغة ٣ر٣ بليون دولار في إصلاح المدارس وتطعيم الملايين من الأطفال وإعادة الكهرباء وإنشاء أول مجالس ديمقراطية في العراق.

تعتبر الإعانة الطارئة وجهود إعادة الاعمار المقدمة إلى العراق خلال الـ ١٢ شهراً منذ سقوط نظام صدام حسين في نيسان/ أبريل ٢٠٠٣ أكبر برنامج أمريكي للمساعدة الخارجية منذ مشروع مارشال، حيث تم تقديم ٣ر٣ بليون دولار من المساعدات إلى شعب العراق.

يبيّن هذا المنشور الجهود التي قامت بها الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية وسلطة التحالف المؤقتة لدعم العراق في استرداد عافيته بعد ثلاثة عقود من الظلم والقتل الجماعي.

وصل أعضاء من فرق كوارث الوكالة الأمريكية للتنمية إلى العراق في ربيع عام ٢٠٠٣ حتى قبل أن يخمد القتال. وقد وجدوا أن الأضرار الناتجة عن الحرب هي أقل مما كان متوقعا. فقد وجد فريق الرد على الكوارث والإغاثة (DART) المؤلف من ٦٢ عضواً والذي يعتبر واحداً من أكبر الفرق المشكلة ميدانياً حتى الآن، أن الأضرار التي لحقت بالمنازل أو الطرق هي أضرار قليلة، وأن إصابات المدنيين محدودة، وأنه لا يوجد مجاعة أو أمراض منتشرة. انهيار جيش صدام حسين السريع والأسلحة الحديثة الموجهة بدقة حصرت معظم الأضرار بالأهداف العسكرية، والشرطة وحزب البعث.

وخلال بضعة أسابيع من نهاية القتال، بدأت الحياة بالعودة إلى وتيرتها الطبيعية. ولكن تجلى بعد ذلك بقليل وضع جديد، فقد تبين ان الإهمال الذي ساد نظام صدام حسين قد نخر وتغلغل في جميع أوجه الحياة العراقية. هذا وبالرغم من أن العراقيين كانوا يملكون أعلى المستويات التعليمية وأعلى مستوى من الرعاية الصحية في العالم العربي قبل أن يبدأ صدام حسين حروبه، وتبذير ثروات العراق النفطية على بناء القصور وشراء ترسانة من الأسلحة وبناء قوات عسكرية كبيرة استخدمها للهجوم على جيرانه وترهيب شعبه.

وأثناء ذلك، امتلأت قنوات العراق القائمة من أكثر من ألف عام بالطمي، وخنقت السفن الغارقة ميناء أم قصر، الميناء العميق الوحيد في العراق. وضخت محطات الصرف الصحي نفايات غير معالجة في الأنهار، وتدهورت المدارس، ونشرت المياه الملوثة الأمراض، وارتفعت أمية المرأة، وناهزت معدلات وفيات الأطفال مستويات لم تشهد إلا في أفريقيا جنوب الصحراء، خاصة في مناطق الشيعة في جنوب العراق.

تعتبر عمليات إعادة الاعمار بعد القتال أو الكوارث الطبيعة من المهام الرئيسية للوكالة الأمريكية للتنمية الدولية. لقد قدمنا مساعدات في إعادة بناء البوسنة وصربيا وكوسوفو وأفغانستان وشرق تيمور والموزمبيق. وقدمنا المساعدات بعد إعصار ميتش في عام ١٩٩٨ لإعادة اعمار الهندوراس والسلفادور. وفي السودان وكولومبيا وسريلانكا والفلبين والنيبال والضفة الغربية/ قطاع غزة، نقوم بتقديم المساعدات بالرغم من ان القتال ما زال يعتبر مشكلة.

كاثلين هايدن/ وزارة الخارجية الأمريكية

وزير الخارجية كولن باول يعزي أهالي القتلى في مقبرة جماعية قبر جماعي في حلبجة في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣.

«يتم تحقيق تقدم حقيقي ملموس يعطي العراقيين الأمل في أن الحياة ستتحسن بثبات. فتتجاوز الآن قدرة توليد الكهرباء المستويات التي كانت عليها قبل الحرب. وبالعمل مع شركائنا العراقيين ومتطوعين آخرين من المجتمع الدولي، أصلحنا أكثر من ١ر٧٠٠ انقطاع شديد في شبكة مياه العراق المتقادمة في العمر... ورممنا ما يزيد عن ١ر٥٠٠ مدرسة، ووزعنا ٢٢ مليون تطعيم على الأطفال والنساء الحوامل العراقيات.»

وزير الخارجية كولن باول
٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣

الحاجة إلى الديمقراطية

في ظل نظام صدام حسين، لم يكن متاحاً أمام العراقيين تجربة الديمقراطية، ولا السيطرة على الخدمات العامة، واعتبر العراقيون الحكومة كلص نهاب. وعاشوا في خوف من سماع طرق على أبوابهم في ساعات متأخرة من الليل، ومن السجن والتعذيب والقتل الجماعي.

بعد هروب قوات صدام، بدأ العراقيون بحفر المقابر الجماعية بحثاً عن أحبائهم الذين اختفوا خلال فترة الرعب. فيقدر عدد الأشخاص المدفونين في هذه المقابر ما بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ ألف – وهو رقم ينافس أرقام الإبادة الجماعية التي وقعت في رواندا في عام ١٩٩٤ وحقول القتل في كمبوديا تحت نظام بول بوت.

هذا وقد ساعدت منح الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية مجموعات حقوق الإنسان العراقية على توثيق أسماء الضحايا والظروف التي قتلوا فيها. فوضع النقاط على الحروف في مسألة المقابر الجماعية من شأنه أن يساعد الشعب العراقي على الشفاء من صدمته.

ودل استفتاء أجرته مؤسسة أوكسفورد الدولية للأبحاث في شباط/ فبراير ٢٠٠٤ على أن ٧٠ بالمئة من العراقيين يقولون الآن أن حياتهم «جيدة» بينما قال ١٩ بالمئة أن حياتهم «سيئة.» كما قال واحد وسبعون بالمئة بأنهم يتوقعون أن تتحسن الأمور في المستقبل بينما قال سبعة بالمئة فقط بأن الأمور ستزداد سوءً.

في ألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية، ساد قبول الديمقراطية على الأكثر بين الأشخاص الذين تقل أعمارهم عن ٣٠ عاماً. لهذا السبب يعتبر الإعلام والتربية حيويين وهو ما دفعنا إلى معاملتهما كأولوية أولى لنا في العراق فقمنا بإصلاح أكثر من ألفي مدرسة وساعدنا الطلاب على إتمام امتحاناتهم السنوية وإعادة فتح المدارس في الموعد المقرر للعام الدراسي ٢٠٠٣–٢٠٠٤.

وهدفت جميع جهودنا إلى تخطي الفروق العرقية، وهي التي اسُتخدِمت من قبل لتقسيم العراقيين، والى توحيد الشعب العراقي. فقد تم حرمان الأكراد وعرب الأهوار والشيعة – الذين يشكلون حوالي ثلاثة أرباع عدد سكان البلد البالغ ٢٥ مليون نسمة – من السلطة السياسية ومعظم الفوائد الاقتصادية والاجتماعية للبلد. فهدفنا هو المساعدة على جمع شمل جميع الفئات في العراق، بما في ذلك السنة والمسيحيين، وخلق هوية وطنية جديدة. وقد بدأنا أيضاً بإنهاء التعسف والفساد الحكومي.

وأثناء عملنا على إعادة بناء محطات الطاقة والمدارس والعيادات الصحية ومحطات المياه، أدى التمرد إلى وضع عراقيل أمام تقديم المساعدات وجعلها عملية مكلفة وخطرة.

لكـن العديد مـن الموظفين الشـجعان والمهرة، وشـركاؤنا في المؤسسـات غير الحكومية والمقاولون استمروا في العمل مع عراقيين يتميزون بشـجاعة وقدرة مماثلة من أجـل إعادة بناء العراق.

قمنـا على سـبيل المثال في مدينـة الفلوجة وحي الصدر في بغـداد بتوظيف آلاف العراقيين وعملنـا مع رجال دين معتدلين فـي إزالـة النفايات وإصلاح شـبكات الميـاه والتربيـة والطاقة والخدمـات الأخـرى. كمـا سـاعدنا العراقيين في جميـع أنحاء العـراق علـى تشـكيل مجالس محليـة للتقرير لأنفسـهم ما هي المشـاريع التي يودون دعمها – سواء المدارس أو الطرقات أو الأسواق أو البرامج الأخرى.

وفي الحلة وكربلاء وبغداد، فتح موظفونا ومقاولونا مراكز للنسـاء لمحـو الأمية ولاكتسـاب مهارات العمـل وتوفير مكاناً للتنظيـم ضـد العنف الموجـه للنسـاء. وقد ضحـت متعاقدتان سـابقتان مع الوكالة الأمريكية للتنميـة الدولية هما فرن هولند ومترجمتهـا العراقيـة سـلوى عليُعماشـي العاملتـان مع قوة التحالـف المؤقتـة بحياتهما عندمـا اغتيلتا بينمـا كانتا تغادران بسـيارتهما أحـد مراكز النسـاء الذي سـاعدتا على إنشـائه في كربلاء.

وفي مناطق الأهوار الشاسعة في جنوب شرق العراق، جفف صدام حسـين عمداً مياه الأهوار ودمر سبل معيشة سكان هذه المناطـق العائدة إلى ٥ آلاف عـام، وهو ما أدى إلى رحيل مئات الآلاف من الأشـخاص، وذلك كعقاب لهم على اتهامهم بالخيانة. لقـد عملنـا مع مهندسـين وعلمـاء عراقييـن وحكومـات مانحة أخـرى لإعـادة المياه، التـي ارتفعت بضـع بوصات فـي اليوم لتغمر أراضي الصحراء القاحلة والنباتات الشـائكة التي خلفها وراءه صدام. وقريباً قد يسـتطيع المرء عند قيادة السيارة على طرق الأهوار مشـاهدة الجواميس والطيـور المائية، وصيادي الأسماك الفخورين في زوارقهم الخشبية الصغيرة.

لمن سـخرية الأقدار أنه في مهد الحضـارة نفسـه – في ذات المـكان الـذي منـح فيه قانـون حمورابـي في عـام ١٧٨٠ قبل الميـلاد بعضـاً مـن أول الحقوق الرسـمية للأفراد فـي التاريخ – أتينـا مـع زملائنا العراقيين لإعادة بعـض من هذه الحقوق القديمة. ونتعهد بالبقاء في العراق في العام المقبل حيث سـيتم نقـل السـيادة إلى الحكومة العراقية الجديدة، لمسـاعدة شـعب هـذا البلد المتمكن ذو الإرادة القوية في الوقت الذي يسـعى فيه إلى إنشـاء نظام سياسي شفاف يحاسب به المخطئ.

أندرو ناتسيوس مدير الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية يسلم على أطفال عراقيين خلال زيارته في حزيران/ يونيو ٢٠٠٣

«بفضل تخطيط مبكر وحذر وشامل، ونقل مسبق لإمدادات الطوارئ، وتنسيق دقيق مع المنظمات الأمريكية والمنظمات الإنسانية الدولية، تمَّ تفادي الأزمة الإنسانية في العراق التي توقعها العديد.»

أندرو ناتسيوس، مدير الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، لجنة مجلس الشيوخ للعلاقات الخارجية، حزيران/ يونيو ٢٠٠٤

تفريغ حمولة سفينة فري آطلاس Free Atlas، التي تحمل أغذية لـ ٢ر٣ مليون شخص في ميناء العقبة بالأردن. كانت هذه أول شحنة أغذية أمريكية طارئة للعراق.

باسيل شافين / وزارة الخارجية

عرب الأهوار في قواربهم

بن بارنيت / الوكالة الأمريكية للتنمية